Sharwes Scientific Journal (SSJ)
Volume 6, Issue 2, 2025, pp 538-549, ISSN 3079-6040

The Libyans' fight, led by the warrior Khalifa bin Asker, against French colonialism in Tunisia (1915-1918)

Soad Ali Amro Masoud
History Department, College of arts and sciences - Badr, Uuniversity of Zintan, Zintan, Libya.
* Corresponding Author: Suad Masoud | Suad.amro@uoz.edu.ly

Received: 27-08-2025 | Accepted: 18-11-2025 | Available online: 15-12-2025 | DOI:10.26629/ssj.2025.32

ABSTRACT

The research addresses the significant role played by Libyan mujahideen, led by Fighters Khalifa bin Askar, against French colonialism in Tunisia. His impressive victories against the Italians in Libya prompted some southern Tunisian tribes to attempt to ignite a revolution against the French. After their attempt failed, they sought refuge with bin Askar, asking him for support to fight the French. He responded to the call and set out with a group of Libyan mujahideen to open a front against the French in Tunisia, in addition to his open front against the Italians in Libya. He achieved major victories in Tunisia, but these victories have not received their due in historical studies in Libya.

Keywords: Fighting - Libyan - Khalifa Bn Asker - French colonialism – Tunisia.

جهاد الليبيين بقيادة المجاهد خليفة بن عسكر ضد الاستعمار الفرنسي في تونس (1915 – 1918)

سعاد علي عمرو مسعود
قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم – بدر، جامعة الزنتان، الزنتان، ليبيا
*المؤلف المراسل: سعاد مسعود | Suad.amro@uoz.edu.ly

استقبلت: 27-08-2025م | قبلت:18-11-2025م | متوفرة على الانترنت | 15-12-2025م | DOI:10.26629/ssj.2025.32

ملخـــــص البحـــــث

تناول البحث الدور الكبير الذي قام به المجاهدون الليبيون بقيادة المجاهد خليفة بن عسكر ضد الاستعمار الفرنسي في تونس، بعد انتصاراته المبهرة ضد الإيطاليين في ليبيا، وهي التي حفزت بعض قبائل الجنوب التونسي بمحاولة إشعال ثورتهم ضد الفرنسيين، وبعد فشل محاولتهم احتموا بابن عسكر، وطلبوه بالنصرة لمحاربة الفرنسيين، ولبى الأخير النداء وانطلق بمجموعة من المجاهدين الليبيين لفتح جبهته ضد الفرنسيين في تونس إضافة إلى جبهته المفتوحة ضد الإيطاليين في ليبيا، فحقق انتصارات كبرى في تونس، ولكنها لم تنل حظها من الدراسات التاريخية في ليبيا.

الكلمات المفتاحية: الجهاد، الليبيين، خليفة بن عسكر، الاستعمار الفرنسي، تونس.

"Articles published in *Sharwes Sci J* are licensed under a Creative Commons Attribution-Non-Commercial 4.0 International License."

المقدمة:

دخلت إيطاليا إلى ليبيا سنة 1911 فنكلت بشعبها ومارست ضده جرائم بشعة، وقاوم الليبيون هذا الاحتلال منذ دخوله إلى بلادهم، حيث تحركت في النفوس كوامن القوة المستمدة من ديننا، وموروث قيم شعبنا التي لم تقبل الظلم عبر تاريخها، فبرزت عدة شخصيات مجاهدة لم تقارن سلاحها البسيط بسلاح العدو المتطور، بل قارنته بقوة عزيمتها في الدفاع على حقوق شعبها وثروته وكرامته وحرماته، ومن الشخصيات التي برزت بهذه الروحية المجاهد خليفة بن عسكر الذي جمع شتات من هم مثله لا يهابون المخاطر، فبدأ بمحيطه وهو الجهة الغربية في الجبل الغربي _نالوت وجوارها_ وهي المنطقة التي اتخذها المجاهدون التونسيون ملاذاً آمناً لهم من قبضة الفرنسيين .

لشهرة ابن عسكر في تحقيق البطولات طلب منه المجاهدون التونسيون النصرة، فتوجه نحو تونس وفتح على نفسه جبهة حرب مع الفرنسيين في تونس إضافة إلى جبهته المفتوحة ضد الإيطاليين في ليبيا، وأدار معاركه بكفاءة عالية، كبد فيها العدوين خسائر فادحة في جندهما وعتادهما، فكان لها طيب الأثر على جانبي الحدود، مما جعل التحام الشعبين بثورتهم أقوى ودعمهم أكثر.

اخترنا دراسة الموضوع تحت عنوان " جهاد الليبيين بقيادة المجاهد خليفة بن عسكر ضد الاستعمار الفرنسي في تونس 1915–1918" تخليداً لمآثر بطولات المجاهدين الليبيين، وعلى رأسهم المجاهد ابن عسكر، لتبليغه للأجيال كداعم لروابط الأخوة بين الشعبين الشقيقين الليبي والتونسي، وتكمن أهمية البحث في عدم وجود دراسة افردت لهذه الاعمال الجهادية بحوث مستقلة، وقد أرخ البحث لهذه الاحداث، وجمع ما توفر عنها من معلومات متناثرة بين الكتب. وقد اعتمدنا في بنائه على مجموعة من المصادر والمراجع منها روايات شفوية لمشاركين ليبيين في هذا الجهاد، وتحر للدقة قارنا الروايات ببعضها، ثم بمصادر أخرى مستخدمين في ذلك المنهج التاريخي التحليلي الوصفي والمقارن للوصول إلى الحقيقة التاريخية.

الدراسات السابقة:

من الدراسات التي تناولت الموضوع كتاب (خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام) لمحمد سعيد القشاط الذي أشار فيه بشكل موجز لأحداث الفترة قيد الدراسة، بالإضافة إلى كتاب (دماء على الحدود) لمحمد المرزوقي الذي اختص بأحدث الجنوب التونسي من ضمنها جهاد الليبيين في المنطقة، وقد اعتمد على روايات شفوية لمجاهدين تونسيين شاركوا في صنع الحدث، أما كتاب (خليفة بن عسكر بيوغرافيا قائد غامض) لفتحي ليسير فقد تناول شخصية ابن عسكر وجهاده في ليبيا وتونس وقد أكد إلى أهمية الموضوع ولفت الانتباه إلى دراسته.

قسم البحث إلى خمسة محاور كالتالي:

المحور الأول: انتصارات خليفة بن عسكر في ليبيا وانتقاله للجهاد نصرة لإخوانه في تونس نوفمبر 1914 يونيو 1915. بعد أن بسطت إيطاليا نفوذها على الجبل الغربي عقب معركة جندوبة عام 1913 جمع

المجاهد خليفة* بن عسكر من تحركت في نفوسهم نوازع رفض الظلم والعزم على مقاومة الاحتلال، وشكل منهم الشرارة التي اشعلت فتيل الثورة انطلاقاً من نالوت، فكان هجومه الناجح في 28 نوفمبر سنة 1914 في لقن عمران بأسفل جبل نالوت على قافلة إيطالية تحمل معدات حربية للساحل، ثم اشتباكه بعد أيام بمجاهديه مع فرقة إيطالية في منطقة الجويبية قدمت للثأر من الهزيمة في لقن عمران، ودعم حامية نالوت، ولم يسفر الاشتباك على تحقيق نصر حاسم لأي من الطرفين على الآخر [1].

ولأن المجاهدين يعرفون همجية الطليان كان التقدير بأنهم سيصبون نار غضبهم على عائلات المجاهدين الذين شاركوا في معركتي لقن عمران والجويبية، فسارعوا لتأمين المنعة لها حيث نقلت مجموعة عائلاتها إلى وديان درج وما حولها، وفيها انضموا إلى جماعات سبقتهم للمكان جاءوا من مناطق جبلية أخرى إثر احتلال إيطاليا للجبل [2]، ومجموعة ضمنها ابن عسكر اتجهوا بعائلاتهم إلى تونس، وقبل اجتياز الحدود دفنوا جل اسلحتهم في مخبأ وأبقوا معهم بعضها، جردتهم منها فرنسا، ووضعتهم مع عائلاتهم في محتشد محروس [3]. بعد فترة قصيرة أفلت ابن عسكر من المحتشد والتحق بالمجموعات التي توجهت إلى درج، وفيها حقق مع مجاهديه عديد الانتصارات على الإيطاليين الذين كانوا قد تلقوا هزيمة ساحقة في فزان إثر الثورة التي عصفت بهم في المنطقة سنة 1914 وهي الثورة التي رفعت معنويات المجموعات الجهادية المتواجدة في وديان درج وما حولها، من بينها المجموعة التي يقودها ابن عسكر، وكان آخر انتصار للمجموعة حصار حامية سيناون وهزيمتها [4]، تم توجه ابن عسكر بمجاهديه شمالاً نحو الجهة الغربية من الجبل لطرد الحاميات الإيطالية المنتشرة في أرجائه واتخذ من منطقة شيحان* قاعدة لتجمع المجاهدين، وكانت له في 26 يوليو 1915 معركة كاباو حيث أرسل مجموعة من المجاهدين إلى منطقة كاباو لطرد الحامية الإيطالية المتواجدة فيها، وبقى ابن عسكر بمجموعة أخرى من المجاهدين في شيحان لمراقبة الحامية الإيطالية في نالوت؛ حتى لا يطوقهم العدو من الخلف، وحقق المجاهدون انتصار حاسم على الإيطاليين في كاباو [5]. بعد معركة كاباو توجه ابن عسكر بالمجاهدين نحو نالوت وعسكروا في منطقة الثومات استعداداً للهجوم على الحامية بنالوت التي تضم حوالي 2000 عسكري إيطالي، وبمجرد أن علم الإيطاليون بقدوم ابن عسكر نحوهم سارعوا بالهروب نحو تكوت بأسفل جبل نالوت، ولعبقرية ابن عسكر في التخطيط لمعاركه، أرسل خمسين مجاهداً من الرماة المهرة إلى تكوت قبل وصول الإيطاليين لها، لأنه واثق بأنهم سيتوجهون نحوها للتزود بالماء والتحصن بقصرها ولقربها من الحدود التونسية التي توفر لهم منفذاً للفرار إذا اضطروا إليه [6].

ما أن خرج عسكر الطليان من نالوت حتى لحق بهم المجاهدون في 6 يونيو 1915، ودخلوا معهم في المجابهة من (فم وادي نالوت) إلى تكوت، وفي شعاب المنطقة أمطرهم الرماة بالرصاص، فأمر القائد الإيطالي جنده بالتوجه نحو (شعبة القلالة) المؤدية إلى تونس، وقبل اجتيازهم الحدود قبض ابن عسكر على قائدهم فأمر الاخير من بقي حياً من جنده بتسليم أنفسهم، وانتهت المعركة بهزيمة نكرا للإيطاليين الذين

انتشرت جثثهم في كل مكان، واستفاد ابن عسكر من الأسرى بإرسالهم إلى المجاهد رمضان السويحلي ليبادلهم بالأسرى الليبيين عند الطليان [7]. ويتعين القول إن هذه الانتصارات الكبرى لخليفة بن عسكر أدت بالحاميات الإيطالية في الجبل إلى بداية التقهقر نحو الساحل وفتح ابن عسكر جبهة أخرى للقتال بمحاربة الفرنسيين المحتلين لتونس تلبية لنداء المجاهدين التونسيين.

المحور الثاني: معركة وازن وبداية اصطدام ابن عسكر مع الفرنسيين 15–17 سبتمبر 1915 : دفعت الانتصارات التي حققها ابن عسكر على الإيطاليين في ليبيا بمجموعة من وجهاء قبيلة الودارنة التونسية من أحياء أولاد دباب وأولاد شهيدة والكراوشة والزرقان والحميدية والعجاردة والمخالبة والدغاغرة وغيرهم، يقودهم المجاهد محمد بن مذكور الودرني الشهيدي بالقيام بعمل مسلح ضد المستعمر الفرنسي في مناطقهم، حيث نظم محمد بن مذكور ومعه أربعين فارساً كمين ضد فصيل "الشاسور دا فريك" الذي كان يستعد للقيام بمهمة استطلاعية بوادي المرطبة تحت إمرة الملازم لوفيفر (Lefevre) يوم 13 سبتمبر سنة 1915، وقد علم الفرنسيون بالأمر وأحبطوا المحاولة بحيث لم تخلف العملية سوى قتيل واحد للفرنسيين [8]. بعد الأحداث السابقة توجه ابن مذكور ورفاقه صحبة أعداد من قبائل الودارنة نحو التراب الليبي واستقروا في بلدة وازن المتاخمة للحدود مع تونس واحتموا بخليفة بن عسكر، ونورد في هذا الخصوص روايات لمجاهدين ليبيين شاركوا في الجهاد تحت قيادة ابن عسكر منها رواية المجاهد علي مسعود أحمد بقوله: "عندما تكسرت إيطاليا في تكوت حدثت ثورة من أهالي أولاد شهيدة على الفرنسيين ثورة رمثة* 1915 وخرج أهل تونس إلى ليبيا واستجدوا بالقائد خليفة بن عسكر وعليه قررت فرنسا الاستيلاء على وازن ..." [9].

ويقول المجاهد محمد أمحمد عمر: "... جاء إلينا من تونس من تطاوين وأولاد سلطان وأولاد دباب وخرج الصيعان بعد فشل الثورة التي قاموا بها على الفرنسيين ... طالبوا من خليفة بن عسكر أن يهاجم الفرنسيين وقد وافقهم على ذلك ..." [10]. وفي ذات السياق ذكر المجاهد علي سعيد عرفة أن الفرنسيين طلبوا من خليفة بن عسكر تسليم التونسيين أو تسليم سلاحهم، ولكنه رفض "وعليه قررت فرنسا مهاجمة وازن ... وبدأت الحرب بين خليفة بن عسكر والفرنسيين بداية من وازن إلى رمادة ..." [1]. وخلال فترة احتماء التونسيين بخليفة بن عسكر وصلت أخبار إلى وازن بقدوم قافلة من إقليم فزان بالجنوب الليبي تابعة للجيش الفرنسي متوجهة نحو بلدة ذهيبة، فقرر حوالي 300 مجاهد من التونسيين والليبيين الترصد للقافلة والهجوم عليها بمجرد وصولها إلى السهل الممتد من جبل عفينة إلى روافد وادي ذهيبة، وحصل اشتباك عنيف بين الطرفين استمر أربع ساعات متتالية انتهى بهزيمة ساحقة للفرنسيين حيث قتل منهم 30 جندياً وعدد من الجرحى، مقابل استشهاد خمسة من المجاهدين وجرح خمسة آخرين [11]. كانت ردة فعل الفرنسيين توجيه قوة من حامية ذهيبة نحو وازن للانتقام من القبائل التونسية وتأسيس نقطة حربية فيها، وقد انطلقت في اتجاه وازن في 15 سبتمبر 1915 مكونة من فرقة من المدفعية عيار 80، 90، 65، وكتيبة خفيفة الحركة في الجناح الأيمن وعدد من القناصة [12]، وقد سلكت طريق سيدي عبدالله المطل على وازن، وعند دخولها

إلى وازن استبسل سكان المنطقة في الدفاع عن بلدتهم، ولأن المسلحين من السكان كانوا قليلين لجأوا إلى ضرب الطبل طلباً للنجدة من المجاهدين في نالوت [11]، كما أرسل في ذات الوقت شيخ وازن يحيى بن موسى في طلب النجدة من القائد خليفة بن عسكر [11]، فانطلق ابن عسكر من نالوت على رأس قوة من المجاهدين قوامها 800 مجاهد من الليبيين والتونسيين واشتبك مع الفرنسيين عند ظهرة النصف في معركة دامت سبع ساعات انهزم فيها الفرنسيون ولاذوا بالفرار نحو ذهيبة بعد أن خسروا 120 قتيل و80 جريحاً مقابل 15 شهيداً من المجاهدين، و70 جريحاً [9]، وقد غنم المجاهدون عدد من الأسلحة من بينها مدفع سلمه المجاهدون للقائد ابن عسكر [11]. وبعد هذه المعركة بدأت معارك ابن عسكر مع الفرنسيين داخل التراب التونسي ابتداء من معاركة في ذهيبة.

المحور الثالث: معارك خليفة بن عسكر في تونس وتشمل:

(1). معارك حول حصن ذهيبة 18-23 سبتمبر 1915 : بعد فرار الفرنسيين نحو ذهيبه لحق بهم ابن عسكر فتحصنوا بقلعتها واستعملوا المدفعية لصد هجوم المجاهدين الذين اضطروا للتراجع نحو منطقة (بنقدال) على بعد 5 كم من ذهيبة في انتظار وصول عدد من المدافع من نالوت كان قد غنمها ابن عسكر من الإيطاليين، وحال وصولها شن بها المجاهدون هجوماً على حصن ذهيبة فصده الفرنسيون بمدافع أكبر مدى، فلجأ ابن عسكر إلى محاصرة الحصن، وقد قام الفرنسيون بهجومات معاكسة لفك الحصار فردوا على أعقابهم، ونظراً لكثرة توالي النجدات للحصن قرر ابن عسكر ترك حصار ذهيبة والتوجه نحو مركز أم صويغ بعد أن علم بمساعي الفرنسيين في بناء تحصينات دفاعية حول المركز [9].

(2). معركة أم صويغ 2 أكتوبر 1915: توجه ابن عسكر نحو مركز أم صويغ في 2 أكتوبر 1915 وقسم المجاهدون البالغ عددهم 2000 مجاهد إلى مجموعتين، بحيث توجهت مجموعة من المجاهدين التونسيين بقيادة أولاد دباب والشيخ عمر الأبيض لمحاصرة المركز من الناحية الشمالية، في حين توجهت مجموعة المجاهدين الليبيين على رأسهم ابن عسكر إلى الجهة الجنوبية وتحديداً في مكان يسمى التويس على بعد 3 كم من أم صويغ، وكانت الحامية الفرنسية الموجودة في المركز تتكون من فرقة من الجيش الفرنسي، وفرقة من أعوان الصبايحية بقيادة دي برموند (De Bourmond) يساعده القبطان باوليني [13]. بعد أن طبق المجاهدون الحصار بدأوا في مناوشة الحصن، ومنع وصول المدد له، وفي المقابل أرسل برموند برقية عاجلة في 3 أكتوبر وهو اليوم الثاني من الحصار إلى الرائد لامبارت (Lambert) بحامية ذهيبة طلباً للنجدة بعد حدوث مناوشات اليوم الأول التي خلفت قتلى وجرحى كثيرون في الجانب الفرنسي، يقول برنوند: "... القتلى كثيرون، الجرحى عديدون أنا منقطع لا اتصال لي بالخارج ... أرسلوا النجدة على الفور ..." [8].

لبت حامية ذهبية النداء في نفس اليوم، وأرسلت فرقة برئاسة الرائد لامبارات (Lambert) مكونة من كتيبتين تابعتين للشاسور داتريك، وفصيلة من السبايس الرابع، وفصيلة من الفرقة 25، وفوج من السرية الثانية

للمجموعة الخامسة عشر، وقبل وصول الفرقة لأم صويغ بمسافة 6 كم اعترضها ابن عسكر بقواته، ودارت معركة في المكان قتل فيها 48 من أفراد الفرقة من بينهم الملازم لوكات (Locate) و13 جريحاً من بينهم الملازم دي بودي مولان (De Body Mulan)، وعندما تأكد الرائد لامبارت بأنهم منهزمون أمر فرقته بالانسحاب ليلاً [8]، بعدها تقدمت نجدة فرسان (عسكر البرنوس الأحمر) فردها المجاهدون على أعقابها [10, 9]، ويذكر المجاهد محمد أحمد عمر بأن المجاهدين استطاعوا أسر عدد من أفرادها [10]، وقدرهم المجاهد عيسى يوسف بوعزيز بحوالي 70 أسيراً بقوله: "... حاصرنا أم صويغ وفي أثناء الحصار جاءت نجدة من الفرنسيين وقد أسرنا منهم حوالي 70 جندي وفارس ..." [14]. نستطيع القول بأن حنكة ابن عسكر في إدارة معاركه مكنته من توزيع مجاهديه في المواقع التي تمنع وصول أية نجدات للحامية الفرنسية المحاصرة فكلما اقتربت نجدة من الحصن امطروها بالرصاص، ومما لا يدع مجالاً للشك بأن ذلك الحصار قد أثر سلباً على معنويات القادة الفرنسيين في المراكز الأخرى المجاورة، والذي يتضح من خلال تقرير لهم حول الحصار المذكور كان مليء بعبارات الآسف لعدم قدرتهم على إنقاذ حاميتهم المحاصرة بقولهم " نحن نشعر أننا عاجزون، ومستمرون هنا، ولا قدرة لنا على مد يد العون لرفيق لنا رغم رغبتنا الجامحة في ذلك وروح التضامن التي تحدونا ... لقد جهدنا في استعراض كل التوافق والحيل، وناقشنا وبسطنا آراءنا وكان الاستنتاج دائماً واحداً وحيداً إن التوجه إلى أم صويغ يعني ببساطة التعرض لكارثة محققة، وبذل تضحيات جسيمة في الأرواح بلا طائل وفوق هذا فإن هذه الكارثة قد تتسبب في أخرى من خلال تعريض وضعية ذهبية لخطر كبير، ذلك أننا سنرغم على تخفيض رجال حاميتنا لتقتصر على مدفع واحد وثلاثمائة رجل ... وبعد أن وازننا بين الأمر وما عليه وقدرنا الأخطار قررنا ونحن مفعمون غماً وحزناً ألا نقوم بأي عمل باتجاه أم صويغ " [8]. والجدير بالذكر أن الحصار المذكور أدى إلى انقطاع الاتصال بين مركزي ذهيبة وفنطاسة، فلم يعلم الجنرال قائد جيش شمال أفريقيا بحصار مركز أم صويغ إلا في اليوم الثالث من الحصار، فأرسل برقية عاجلة إلى وزير الحرب وصف فيها خطورة الوضع الأمني في الجنوب التونسي بقوله: " لقد تدهور الوضع بشكل مفاجئ بالجنوب التونسي حيث تكبدت جيوش جد رديئة. (من الفرق الخاصة. وفيالق أفريقيا والفيالق التراسة) ينقصها التأطير على جميع المستويات خسائر جسيمة بدون جدوى ...أن حوادث الجنوب التونسي من الخطورة بحيث يتعين علينا إيجاد الحلول لها بسرعة والشجاعة اللازمتين وإلا فأن نتائجها ستكون وخيمة فيما يخص وجودنا بأفريقيا الشمالية ..." [8]. ونتيجة لشدة الحصار الذي جعل الفرنسيون داخل الحصن في يأس من وصول أي نجدة لهم عرض عليهم ابن عسكر التسليم على أن يسلموا أسلحتهم قبل الخروج من الحصن، وقبل قائدهم صاغراً بالتسليم وفق الشروط المذكورة [12]. وحول استسلام قائد الحصن وما دار من حوار بينه وبين المجموعة التي أرسلها له ابن عسكر لاستلام الحصن بما فيه من أسلحة ومعدات فإننا نجد من خلال ما كتبه القبطان روفلس في كتابه "واجهة الجنوب التونسي" محاولة لإخفاء الموقف الضعيف لقائد الحصن وحاميته، حيث ذكر أن القائد الفرنسي رفض الخروج من الحصن

إلاّ بالأسلحة والمعدات، فتسلل رجال ابن عسكر للحصن لانتزاع الأسلحة، يقول روفولس: " في 3 أكتوبر بعث الرئيس الثائر ابن عسكر مفاوضاً للحصول على تسليم البرج واعداً حماته بالمحافظة على حياتهم وتردد القبطان لأنه أحس بضعف قواته أمام القوات المقابلة ولكنه لم يرد ترك البرج إلا إذا حمل معه الأسلحة والأدباش واغتنم العدو هذا التردد واستطاع أن يتسلل إلى المركز وينتزع أسلحة بعض المحاربين بينما هرب بعض وابتدأ النهب بدون أن يطلق أية رصاصة وأحس اليوطنان باوليني بالخطر فأمر كل واحد أن يمكث في مركزه وانطلقت رصاصة وابتدأت المعركة وكان القبطان برموند أول من سقط فتسلم القيادة وجعل كل نيرانه مصوبة نحو العدو والذي ترك المخيم بسرعة ..." [15]. وفي المقابل تناولت روايات المجاهدين عملية استسلام قائد الحصن بشكل مخالف لما ذكره روفلس، حيث يقول المجاهد عيسى يوسف بوعزيز: "سلم الفرنسيين داخل الكردون في أم صويغ وبدأ المجاهدون في جمع الغنائم وقال "أن القائد الفرنسي طلب القائد خليفة بن عسكر ولكن نحن لم نقدم لهم خليفة بن عسكر قدمنا لهم أحمد معتوق من الغزايا وقلنا له أن هذا هو القائد خليفة بن عسكر قال لا، نعرف خليفة بن عسكر وعليه عندما حدث شجار بين الخنجاري من الصيعان وأحد الفرنسيين وأطلق عليه الخنجاري النار هنا انضم الجنود الفرنسيين لبعضهم وعادت المعركة من جديد حيث قتل الكثير من المجاهدين ... ثم خرجنا من الكردون " [14]. وفي ذات السياق يقول المجاهد أحمد بن يوسف بوصوة: "أن جنود الحصن في أم صويغ اشترطوا أن يسلموا أنفسهم لخليفة بن عسكر ... فأحضرنا لهم سعيد أيوب على أنه بن عسكر فرفضوا وأجابنا الضابط هذا ليس خليفة بن عسكر، فأحضرنا له الصويعي المحمودي فرفض، فأحضرنا له شيخ الغزايا فرفض، وفي هذه المفاوضات والأخذ والرد جاء واحد صويعي وقتل الضابط الفرنسي ..." [16]. ويقول المجاهد محمد أمحمد عمر: "... دخلنا ثكنات الفرنسيين وكادوا يستسلموا، ولكن نتيجة سوء تصرف أحد المجاهدين مع القيادة الفرنسية أدى إلى استمرار القتال وصمود الفرنسيين داخل ثكناتهم وبذلك انقلب الأمر في غير صالح المجاهدين ..." [10]. أما المجاهد عثمان الطرابلسي فيقول: "... بعث المجاهدون أحد الأسرى يطالبون من المركز التسليم ... ووافق قائد الاستحكام على التسليم وتقدم المجاهدون الذين دخلوا الحصن وصاروا يجمعون الأسلحة، وكان هناك داخل الحصن ضابط لم يرض بالتسليم ولم يرض بتسليم سلاحه ومعه مجموعة من الجنود، وعند المغرب قدم مجاهد من ورغمة يدعى أمحمد بسيسة فأطلق النار على الضابط وقتله، وهنا أطلق الجنود الفرنسيون النار على المجاهدين من قرب فخرج المجاهدون من الحصن وسقط عدد من القتلى ..." [17]. ويقول المجاهد مسعود درش موسى: "... حاصرنا أم صويغ من جميع الجهات ... وعندما ضيقنا عليه أراد التسليم وعندما دخلنا الطرانش (ويقصد الحصن) طلب منا حضور بن عسكر ..." [12]. ويذكر المجاهد علي بن بدر أن قائد الحصن وافق على الاستسلام بالرغم من معارضة نائبه باوليني، وقد أرسل ابن عسكر نائباً عنه وهو محمد الغزاوي على رأس مجموعة إلى الحصن لتنفيذ الاتفاق [9].

وعليه فإن روايات المجاهدين اتفقت على استسلام قائد الحصن، وأنه وافق على تسليم الحصن بما فيه من أسلحة ومعدات، وكان يتوقع حضور ابن عسكر شخصياً على رأس مجموعة المجاهدين التي دخلت إلى الحصن لتنفيذ الاتفاق لاستلام الحصن والأسلحة، كما يتضح أن تلك المجموعة التي أرسلها ابن عسكر قد دخلت إلى الحصن بشكل رسمي، وليس تسللاً لانتزاعه كما ذكر روفلس . وبالتالي كادت عملية الاستلام أن تتم لولا حماسة أحد المجاهدين بإطلاق النار دون إذن قائده، ولأن باوليني لم يكن راضياً من البداية على التسليم استغل الموقف واغتنم الفرصة بعد مقتل قائد الحصن فأمر جنده بإطلاق النار على المجاهدين وإغلاق باب الحصن فضاعت بذلك فرصة كبيرة للمجاهدين بتحقيق نصر حاسم على الفرنسيين. أما عن هوية المجاهد الذي بادر بإطلاق النار فإننا نرجح بأنه من الصيعان بالرغم من أن أحد الروايات ذكرت بأنه تونسي من ورغمة، وذلك لاتفاق روايتين بأنه صويعي كما رأينا سابقاً. وفي خضم الأحداث المذكورة انسحب ابن عسكر برجاله إلى بن قدال [15] ومنها إلى ليبيا؛ وذلك لظروف سياسية حدثت في منطقة الجبل الغربي اضطرته بالعودة إلى ليبيا، ثم رجع إلى تونس لمواصلة قتال الفرنسيين [8].

المحور الرابع: استئناف القتال ضد الفرنسيين ويشمل: –

(1). معركة ذهيبة 20–25 يونيو 1916. كوّن ابن عسكر محلة من المجاهدين تعدادها 2000 مقاتل مدعمة بالمدفعية والرشاشات اتجه بها نحو تونس لمواصلة الجهاد ضد الفرنسيين بعد انقطاع دام ثمانية أشهر، وعندما علمت القيادة الفرنسية العليا عن طريق الإيطاليين ومصلحة الشئون الأهلية بالأمر أصدر قائد جيش الاحتلال الفرنسي الجنرال أليكس (Alix) أوامره بتشكيل ثلاثة طوابير إثنان بتطاوين تحت إمرة الرائد قايون (Cakon) وشوان (Choin)، والثالث في بنقردان بقيادة الرائد لامبير (Lambert)، ويتكون كل طابور من فوج (قومية)، ومفرزتي خيالة وفصيلتين راكبتين وفرقة مشاة وقسم مدفعية عيار (65)، وقافلة جمال، بالإضافة إلى إرسال قوة متجولة بأم صويغ يرأسها النقيب أوديبار (Audiber)، مهمتها توفير الحماية لقوافل الجند والتموين أثناء مرورها بالطريق الجبلي الواصل بين أم صويغ وذهيبة [8]. كانت قوات خليفة بن عسكر بحسب ما قدرتها المصادر الفرنسية بحوالي 2000 مقاتل يقول روفلس : " ... كان خليفة بن عسكر يمتلك 2000 جندي ومدفعين إيطاليين من طراز (68) ومدفعاً ثقيلاً ..." [15]، وقد وصلت قواته إلى ضواحي ذهيبة في 18 يونيو 1916 وتصادفت بمرور قافلة للجنود الفرنسيين محملة بالتموين متجهة نحو ذهيبة، وقد حصل اشتباك صغير بين الطرفين، وهو ما أوحى للفرنسيين بوجود ابن عسكر وقواته على مقربة من ذهيبة، وتعرضت القافلة المذكورة أثناء خروجها في اليوم التالي من ذهيبة إلى هجوم المجاهدين، مما أدى إلى تدخل فرقة أوديبار للدفاع عن القافلة . وتمكن المجاهدون من قتل اثنين من الفرنسيين أحدهما الملازم غاروبي (Garoubi) وجرح اثنين آخرين [9].

كان الاشتباك السابق بداية لانطلاق المعارك الضارية على مركز ذهيبة الذي تتواجد فيه حامية فرنسية قوامها 2000 جندي مدعمة بثلاثة مدافع ورشاشات وثلاثة صفوف متحركة، ويتكون كل صف من فرقة

مشاة وفصيلة راكبة وأخرى من مدافع –65– معززتين من الفرسان، وقد تم إنشاء الصفوف المذكورة في تطاوين وذهيبة [9]. بدأ المجاهدون في حصار ذهيبة يوم 20 يونيو، وفي مساء ذات اليوم بدأوا في قصف حصنها بمائة قذيفة، واستمر القصف لأربعة أيام دون جدوى لعدم التصويب بشكل دقيق، ولأن القذائف كانت جوفاء من الداخل لأنها مصنوعة من الصلب، أما الفرنسيون فلم يردوا على القصف لعدم امتلاكهم سلاحاً مماثلاً، واستمروا متحصنين داخل الحصن [8] ونتيجة لعدم جدوى القصف أرسل ابن عسكر مجموعة من المجاهدين كانت قد تلقت تدريبات خاصة لمهاجمة الحصن غير أنها فشلت في اقتحامه؛ لوجود دفاعات قوية من الفرنسيين، فاستمر الحصار لمدة خمسة أيام، صد خلالها المجاهدون نجدات متوالية قادمة إلى الحصن، ما أن ينتهوا من واحدة حتى تأتي أخرى، فقرر ابن عسكر ترك حصار ذهيبة والتوجه لمهاجمة حامية رمادة [8].

(2). معركة رمادة 26 يونيو 1916. وصل المجاهدون إلى رمادة في 26 يونيو 1916، وكانت توجد بها ثكنة فرنسية صغيرة تضم 200 جندي، ومعدات حربية حديثة من أسلحة ورشاشات سريعة وتحيط بها خنادق ومتاريس منها الخندق الذي يصل ما بين البرج وبئر الماء الوحيد في المنطقة الواقع على الجهة الشرقية من البرج. ويوجد بالقرب من الثكنة مراكز مجاورة وهي مركز ذهيبة وأم صويغ والفطناسية لنجدتها إذا تعرضت لأي هجوم [9].

توجه المجاهدون نحو رمادة من الجهتين الجنوبية والشرقية ، تتقدمهم كوكبة من الفرسان، وكتيبة من المشاة يرافقون قافلة الإبل والبغال محملة بالأسلحة والذخيرة، وعند وصولهم إلى الذهيبات تمركزت فرقة منها بقويرات سالم وأخرى بوادي بالناصر، لصد أي نجدة تأتي من المراكز المجاورة، وقد تسلل ثلاثة من المجاهدين التونسيين من بينهم المجاهد محمد بن مذكور إلى داخل رمادة للاستيلاء على البئر الموجود فيها، ولمنع الماء على الجنود الفرنسيين، وقد رافق انطلاق المتسللين طلقات المدفعية لتغطي على عملية التسلل، وبمجرد وصول المجاهد محمد بن مذكور إلى البئر كبر بأعلى صوته، وهجم على حراس البئر داخل خندقهم، وما أن سمع المجاهدون صوت التكبير حتى شنوا هجوماً عنيفاً على حصن رمادة من الجهتين الشرقية والغربية، وتعرض الحصن لقصف مكثف ومركز، وخلف هجوم اليوم الأول 5 قتلى و3 جرحى من الفرنسيين، وبحسب المصادر الفرنسية أن خسائر المجاهدين 50 قتيلاً [8]، وهو بالتأكيد رقم مبالغ فيه، في إحصائية خسائر المعارك .

(3). معركة وادي سمنة يونيو 1916. حاول الفرنسيون داخل حصن رمادة التصدي إلى هجومات المجاهدين بالرشاشات السريعة وسلاح المدفعية من داخل الحصن، واستنجدوا بالمراكز المجاورة، فجاءت نجدة يقودها الملازم بارو شوف (Baru Shwf) تتكون من قسم راكب وفصيلة مشاة، وأثناء وصولها إلى وادي سمنة من جهة قبلي الرمادة أحاط بها المجاهدون من كل جانب وأبادوها بالكامل بالسلاح الأبيض، وكالعادة بالغت المصادر الفرنسية في كثرة عدد قتلى المجاهدين حتى أنها انتشرت أكواماً في الشوارع، وقد

غنم المجاهدون ما بحوزة الفرنسيون من أسلحة وذخائر وغيرها. وبعدها مباشرة أتت نجدة أخرى بقيادة الملازم باوليني مكونة من 100 جندي فهاجمها المجاهدون بمجرد وصولها إلى حصن بوزيان الواقع شرقي رمادة وأبادوها بالكامل [9]، وقدر المجاهد عيسى يوسف بوعزيز عدد الجنود الفرنسيون في هذه النجدة بحوالي 200 جندي بقوله: " جاءت نجدة من الشرق للرمادة وعليه تعرضنا لهذه النجدة التي تقدر بحوالي 200 جندي أبدناهم بالكامل عن أخرهم " [14].

(4) معركة بئر مغري 30 يونيو 1916: نظراً لكثرة توالي النجدات على حصن رمادة قرر ابن عسكر مغادرة المكان، وخشي الفرنسيون أن تتحول وجهته نحو مركز أم صويغ الذي يعد المركز الحقيقي لعملياتهم، فأرسلوا للمركز تعزيزات بقيادة العقيد فليشي (FELICI) تتكون من فرقة مشاة (عناصر تابعة للزواف الرابع، والغرفة الرابعة الأفريقية وقسم للرشاشات، وقسم مدفعية 65، وفصيلة من الصبايحية) [8]. ونظراً لارتفاع درجة حرارة الجو تعرضت الفرقة المذكورة للإنهاك والتعب أثناء سيرهم نحو أم صويغ فهلك خمسة من أفردها، وأحد عشر من دوابها، وعند وصول الفرقة للمكان يوم 29 يونيو وجدت منسوب الماء ضعيف ولا يفي باحتياجاتها، فتوجهت نحو بئر مغري في الجنوب الشرقي من أم صويغ على بعد 6 كم، وقد اصطدموا وهم في طريقهم إلى البئر يوم 30 يونيو بمحلة المجاهدين البالغ عددهم 1200 مجاهد يقودهم ابن عسكر كانوا في نفس الوقت متجهين نحو البئر، فدارت معركة بين الطرفين على مقربة من البئر بحوالي 5 كم، خسر فيها الفرنسيون 7 قتلى و 32 جريح، وقدرت المصادر الفرنسية خسائر المجاهدين 200 ما بين قتيل وجريح، وقد اضطر ابن عسكر إلى التراجع نحو وادي مرطبة، ويعد هذا الاشتباك الأخير أخر لقاء كبير بين قوات ابن عسكر والفرنسيين [8].

المحور الخامس: حرب العصابات (يوليو 1916 ديسمبر 1918). خشي ابن عسكر أن تستغل إيطاليا غيابه في تونس وتعيد إيطاليا الكرة لاحتلال نالوت وما جاورها، فقرر العودة إلى ليبيا لتوطيد مركزه من جهتي زوارة وطرابلس، حتى تفقد إيطاليا أمل استرجاع ما كان تحت سيطرتها، وكوَّن محلة ضمت مجاهدين من المنطقة الغربية من الجبل انضمت لها مجموعات أخرى من مناطق مختلفة اتجهت نحو الساحل وشاركت في الجهاد ضد العدو الإيطالي [10، 18، 19].

ونظراً لرجوع ابن عسكر إلى ليبيا للمشاركة في الجهاد ضد الاحتلال الإيطالي فقد شغل فرنسا بحرب العصابات التي خطط لها ونفذها مجاهدون تونسيين اتفق معهم بن عسكر على شن غارات خاطفة، ومستمرة على الفرنسيين داخل الأراضي التونسية، وقد تسببت تلك الغارات في قلق السلطة الفرنسية، فردت بتشكيل عصابات من المرتزقة من قبائل تونسية وجزائرية وليبية قامت بشن غارات من تونس والجزائر على المناطق الليبية المتاخمة للحدود مع تونس والجزائر، منها غارة شنتها عصابة خرجت من تونس على موقع للمجاهدين التونسيين المخالبة بحوالي واحد كم من بئر زار أسفرت عن أسر عدد من المجاهدين، وأخرى من عصابات

الشعامبة الجزائرية أغارت على منطقتي درج وغدامس وغيرها من المناطق الليبية المتاحة للحدود مع البلدين (تونس–الجزائر) [9].

استمرت حرب العصابات بين الطرفين طيلة سنوات 16–17–18، استخدمت خلالها فرنسا سلاح الطيران لقصف مواقع المجاهدين، وخسرت في إحدى غاراتها طائرة كانت تتتبع في مواقع المجاهدين في الحدود الليبية التونسية حول جهة نالوت، وعند عودتها حصل لها خلل أدى إلى سقوطها وتحطمها وهلاك من على متنها وهما المقدم لوبوف (Lubov) والملازم أو شانتي (Chante) [9]. وفي مطلع عام 1919 فاوضت فرنسا ابن عسكر، وعقدت صلحاً معه، وتم الاتفاق فيه على وقف الاعتداءات بين الطرفين واحترام الحدود القائمة وتبادل الأسرى، وفتح الأسواق الحدودية، وقد أخلت فرنسا سبيل كل المحتجزين الليبيين في محتشد قبلي من بينهم عائلة ابن عسكر، مقابل أن يمنع الأخير الغارات التي كانت تخرج من ليبيا نحو تونس، ووافق ابن عسكر على ذلك واستثنى غارات المهاجرين من الطوارق والجزائريين في ليبيا بحجة أنه ليس له سلطة عليهم [8]. وبعد عقد الصلح مع الفرنسيين استلم ابن عسكر في منطقة بن قدال كل المحتجزين في تونس، وسط جمع غفير من الحضور من بينهم صحفيون ومصورون [8]. وهكذا اعتمدت حرب العصابات على كمائن يحدد مكانها وتوقيتها المجاهدون، فكانت الأكثر نجاعةً من حشد المجاهدين في معارك كبرى وجهاً لوجه مع العدو وقد انتهت بعقد صلح بين ابن عسكر والفرنسيين.

النتائج:

من خلال ما تم عرضه في البحث نستنتج أن دخول المجاهدين الليبيين إلى تونس بقيادة المجاهد خليفة بن عسكر قد رفع من معنويات إخوانهم التونسيين ودفعهم لإشعال فتيل الثورة ضد الفرنسيين، وحقق المجاهدون انتصارات على الفرنسيين في عدة معارك ،وكبدوهم خسائر في الأرواح والعتاد، وقد أدى الوجود المتقارب للثكنات الفرنسية وإحكام تحصينها إلى عدم تحقيق نصر حاسم عليها لأنها كانت تسند بعضها بعضا بالنجدات، فاستخدم ابن عسكر تكتيك الانسحاب كلما زاد توالي النجدات استعدادا للهجوم على ثكنة أخرى، وأدت كثافة هجماته على تلك الثكنات إلى تهديد الوجود الفرنسي في تونس وعموم أفريقيا .وكان لبعض الظروف السياسية في ليبيا دورها في اضطرا بن عسكر للرجوع إلى ليبيا أكثر من مرة وهو ما أثر سلباً على جهاده في تونس، وبالرغم من ذلك اختتم جهاده بتفاوض الفرنسيين معه وإطلاق سراح جميع الأسرى الليبيين المحتجزين في تونس.

المراجع:

[1]. عرفة، ع. س.؛ يعقوب، خ. س. مقابلة شخصية (مقابلة شفوية مُسجلة) ، شريط رقم 5/39–40/5 و 5/35. قسم الرواية الشفوية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، [1978].

[2]. يعقوب، خ. س. مقابلة شخصية (مقابلة شفوية مُسجلة) ، شريط رقم 5/35. قسم الرواية الشفوية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، [1978].

[3]. مدلل، أ. أ. المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي وتأثيرات الأوضاع الدولية عليها أغسطس 1914، أبريل 1915. طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية؛ 1990.

[4] . قنص، ك. ع. م. مقابلة شخصية (مقابلة شفوية مُسجلة) ، شريط رقم 102/2. قسم الرواية الشفوية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، [1979].

[5] . مدلل، أ. أ. معركة كاباو 26-6-1915. مجلة الشهيد. 1990؛ (11): 385.

[6] . المجبري، خ. م. ب. مقابلة شخصية (مقابلة شفوية مُسجلة) ، شريط رقم 33/2. قسم الرواية الشفوية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، [1978].

[7] . بغني، م. ص. مقابلة شخصية (مقابلة شفوية مُسجلة) ، شريط رقم 37/5-38/5. قسم الرواية الشفوية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، [1978].

[8] . ليسير، ف. خليفة بن عسكر بيوغرافيا قائد غامض. تونس: مركز سرسينا للبحوث حول الجزر المتوسطية؛ 2001.

[9] . المرزوقي، م. م. دماء على الحدود، ثورة 1915. ليبيا-تونس: الدار العربية للكتاب؛ [1978].

[10]. أمحمد، ع. م. م مقابلة شفوية مُسجلة ، شريط رقم 36/5. قسم الرواية الشفوية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، [1978].

[11]. عمر، م. أ. مقابلة شفوية مُسجلة ، شريط رقم 25/5. قسم الرواية الشفوية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، [1978].

[12]. عبدالله، ي. ع. مقابلة شفوية مُسجلة ، شريط رقم 29/5-39/5. قسم الرواية الشفوية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، [1978].

[13]. موسى، م. د. مقابلة شفوية مُسجلة ، شريط رقم 29/5. قسم الرواية الشفوية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، [1978].

[14]. القشاط، م. س. خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام. دار المسيرة، بيروت 1977 ملاحظة: ملخص القبطان روفلس المرفق ضمن بكتاب خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام.

[15]. بوعزيز ع ي. مقابلة شفوية نالوت، [1978]. [نُقل في: القشاط م س. خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام.

[16]. بوصوة أ ي. مقابلة شفوية نالوت، [1978]. نُقل في: القشاط م س. خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام.

[17]. الطرابلسي ع. مقابلة شفوية منطقة الصيعان، [1978]. نُقل في: القشاط م س. خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام

[18]. درش، م. مقابلة شفوية نالوت، [1978]. نُقل في: القشاط م س. خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام

[19]. صولة، ع. مقابلة شخصية (مقابلة شفوية مُسجلة) ، شريط رقم 25/5. قسم الرواية الشفوية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، [1978].